الفصل الأول
(العلاقة مع الكفار)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أركان علاقة المسلم بالكافر

المبحث الثاني : إطلاق لفظ الأخ على غير المسلم

المبحث الثالث : معالم الخطاب الدعوي لغير المسلمين

obeikandl.com

المبحث الأول
أركان علاقة المسلم بالكافر

تقوم علاقة المسلم بالكافر على ثلاثة أركان مهمَّة، تكوِّن بمجموعها فلسفة علاقة المسلم بالكافر، وما ينشأ عنها مِنْ مواقفَ وأحداثٍ، وينبغي أنْ تبقَى هذه الأصول الثلاثة في ذهن المسلم في كلِّ تعاملاته، وأثناء قراءته لجميع المسائل الفقهيَّة المتعلِّقة بعلاقة المسلم بالكافر.

الركن الأول: الولاء والبراء :

* **معنى الولاء**: هو حُبّ الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحِّدين، ونصرتهم.

* **معنى البراء**: هو بغض من خالف اللهَ ورسولَه والصحابةَ والمؤمنينَ الموحِّدين مِنَ أصنافِ الكافرين والمشركين والمنافقين.

فكل مؤمنٍ موحِّدٍ ملتزمٍ للأوامر والنواهي الشرعية، تجب محبَّته وموالاتُه ونصرتُه. وكلٌّ من خالف ذلك وجب التقرُّب إلى الله تعالى ببغضه ومعاداته، وجهاده بالقلب واللسان بحسب القدرة والإمكان وبقدر مخالفته، ولا ينافي ذلك أمر دعوته إلى الحقِّ وإلى طريق الهدى قدر المستطاع.

* منزلة الولاء والبراء :

ومنزلة الولاء والبراء في الدين عظيمة جدًّا، ويظهر ذلك فيما يلي :

١- **أنها جزء مِنْ معنى الشهادة (لا إله إلَّا الله) كلمة التوحيد**، فالجزء الأول منها (لا إله) يعني البراءَ مِنْ كل ما يُعبَد مِنْ دون الله.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فَإِنَّ تَحْقِيقَ الشَّهَادَةِ بِالتَّوْحِيدِ يَقْتَضِي

أَنْ لَا يُحِبَّ إِلَّا لله وَلَا يُبْغِضَ إِلَّا لله، وَلَا يُوَالِيَ إِلَّا لله، وَلَا يُعَادِيَ إِلَّا لله، وَأَنْ يُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَيُبْغِضَ مَا أَبْغَضَهُ، وَيَأْمُرَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ »(١).

٢- أنها شرط في الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ **تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾** ﴾ [المائدة].

٣- أن هذا الركن هو أوثق عُرَى الإيمان. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ: [**أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟**] قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: [**الْمُوَالَاةُ فِي الله، وَالْمُعَادَاةُ فِي الله، وَالْحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي الله**](٢).

٤- أنها سبب لتذوُّق حلاوة الإيمان ولذة اليقين؛ لما جاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: [**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**](٣).

٥- أنه بتحقيق هذه العقيدة تُنالُ ولايةُ الله، لما روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : « أَحِبَّ فِي الله، وَوَالِ فِي الله، وَعَادِ فِي الله، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ الله بِذَلِكَ، لَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ »(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٣٣٧).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (١١٥٣٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٣٩).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري ح (١٦)، ومسلم ح (٤٣).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ح (٣٤٧٧٠).

•• مظاهر موالاة الكافرين :

وموالاة الكافرين وإن كانت قلبية إلا أنها تظهر في صور كثيرة ، ومنها :

• التشبُّه بهم في اللباس والكلام والعادات.

• الإقامة في بلادهم لغير حاجة ملحَّة.

• اتخاذهم بطانة ومستشارين وأصدقاء خاصِّين.

• مشاركتهم في أعيادهم، وتهنئتهم، وإعانتهم عليها، وحضور احتفالاتهم.

• الدفاع عنهم، والثناء على ما هم فيه مِنْ تطور، مع إهمال ذكر ضلالهم وكفرهم ... وغير ذلك مِنَ الصور.

قال **أبو الوفاء بن عقيل**: « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إِلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا انْظُرْ إِلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ »(١).

•••

الركن الثاني: الخلق الحسن :

إنَّ المُطَّلع على كتاب الله وسُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَعْجَب مِنَ المكانة التي يحتلُّها حسن الخلق. وندلِّل على ذلك بما يلي :

• عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**](٢).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ

---

(١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي (١/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود، ح (٤٨٠٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع، ح (١٤٦٤).

النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: [**تَقْوَى الله ، وَحُسْنُ الخُلُقِ**](١).

• وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**](٢).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**](٣).

• وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**](٤). والناس تشمل المسلم والكافر.

• وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة:٨]. فحسن الخلق لجميع الناس، مسلمهم وكافرهم.

• ويقول ﷻ في بيان شافٍ في كيفية التعامل مع الكفار: ﴿ **لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة].

ومعنى: ﴿ **أَن تَبَرُّوهُمْ** ﴾ أي: تحسنوا إليهم، فالبِرُّ هو الإحسان والخير الوفير.

• عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهْيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهْيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ: [**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**] »(٥).

---

(١) أخرجه أحمد ح (٩٦٩٦)، والترمذي ح (٢٠٠٤)، وقال: حديث صحيح غريب .
(٢) أخرجه أحمد ح (٦٧٣٥)، والترمذي ح (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن غريب.
(٣) أخرجه أحمد ح (٨٩٥٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، ح (٢٣٤٩).
(٤) أخرجه أحمد ح (٢١٣٥٤)، والترمذي ح (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.
(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري ح (٢٦٢٠)، ومسلم ح (١٠٠٣).

وكما أنَّ حُسن الخلق مع الكافر يظهر له الدين بوجهه المشرق، ويحببه في تعاليمه وشرائعه، فإن سوء الخلق مدعاة للنفور من الدين وأهله.

* * *

الركن الثالث: دعوة الكافر إلى الإسلام:

نصَّ أهل العلم على أنَّ الدعوة إلى الله فرض كفائي، إذا قام بها مَنْ يكفي سقط الإثم عن الباقين.

ولا شك أنَّ الأمر يتأكَّد كلما ابتعد الإنسان عن مواطن الدين والشرع، فحاجة الناس هناك أشدُّ وجهلهم بالدين أكبر، وربما وجدت العديد منهم لم يسمعوا عن الإسلام إلَّا معلومات مغلوطة تَلَقَّوْها من وسائل الإعلام المغرضة الفاسدة.

فيجب على المسلم الاجتهاد في نشر هذا الدين، وألا يستصغِر نفسه، فالنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: [**بلِّغُوا عنِّي ولو آية**](١).

وكان الصحابيُّ يتلقَّى المعلومات السهلة المعدودة في جلسة قصيرة، ليقول بعدها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا رسول من ورائي»(٢)، ثم ينطلق بعدها إلى قومه.؛ ليبلغهم دعوة الله، وذلك لإحساسه بأنه مسئول عن إبلاغهم ذلك، وبأحسن الطرق وأيسرها.

وإذا وفِّقْتَ لتلك النعمة فهنيئًا لك الأجر العظيم، فأنت أحسن الناس قولًا ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**](٣).

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٤٦١).
(٢) أخرجه البخاري ح (٦٣)، من حديث ضمام بن ثعلبة.
(٣) أخرجه البخاري ، ح (٢٩٤٢).

obeikandl.com

وأي شيء أعظم مِنْ أنْ تأتي يوم القيامة ومع صحائف أعمالِك أعمالٌ كالجبال لم تعلم بها مِنْ عبادات ذلك المسلم الجديد وذرِّيته، ففضل الله واسع وكرمه جزيل.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، ..][(١)].

وكل ذلك يتيسر إذا أخلص المسلم نيَّته لله، وكان متَّصفًا بالحكمة وحسن خلق، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

تذكَّر أن :

- **الولاء والبراء أوثق عرى الإيمان .**
- **الولاء والبراء عبادة قلبية تظهر في عديد مِنَ الصور العمليَّة.**
- **خطورة التساهل في مودَّة الكافرين وولايتهم (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) .**
- **حسن الخلق يشرع مع جميع الناس مسلمهم وكافرهم .**
- **البر وحُسْن الخلق مع الكفار ليس من موالاتهم ومودتهم .**
- **حسن المعاملة من أنجح وسائل الدعوة إلى الله .**
- **الدعوة إلى الله فرض كفاية وتتأكد كلما قلَّ العلم وانتشر الضلال .**
- **الدعوة واجب الجميع، وليس على من يظهر الصلاح والاستقامة فقط .**
- **الدعوة إلى الإسلام لا تحتاج لقدر كبير من العلم.**
- **الخلق الحسن من أهم أبواب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة**

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم ، ح (٢٦٧٤).

المبحث الثاني:
هل يصح إطلاق لفظ الأخ على غير المسلم؟

علمنا فيما سبق أنَّ الولاء للمؤمنين والبراءة مِنَ الكافرين مِنْ أسس ديننا، فكل مؤمن موحِّدٍ ملتزمٍ للأوامر والنواهي الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل مَنْ خالف ذلك وجب التقرب إلى الله تعالى ببغضه ومعاداته بقدر مخالفته للدين ولو كان أقرب الناس نسبًا، كما قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة].

• **الأخُوَّة الحقيقيَّة**:

وقد بيَّن لنا كتاب ربِّنا أنَّ الأخُوَّة الحقيقيَّة التي تقتضي الولاء والنصرة والمحبة هي أخُوَّة الدين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]. و(إنما) أداة حصر، فلا تثبت حقوق أخُوَّة الدين إلَّا للمؤمنين، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**][1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**]. قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله ؟

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ح (٢٤٤٢)، ومسلم ح (٢٥٨٠).

قَالَ: [إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ](١).

وهي أُخُوَّة تَثْبُتُ للمسلم من دخوله في دين الله أيًّا كان لونه أو بلده أو جنسه، كما قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان].

وقال تعالى:﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة:١١].

• أخُوَّة النسب والقبيلة :

ومع هذا فقد أثبت القرآن علاقات النَّسب بين المسلمين وغيرهم من الكفار ولم يُلْغِها ولو كانوا ممن حادَّ الله ورسوله ولكنه نهى عن مودتهم، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ فسمَّاهم إخوانًا وآباء وأبناءً. وجاء في قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نداءه لأبيه بلفظ (يا أبَتِ) وأبوه على الكفر.

وأمَّا قول الله تعالى لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود:٤٦].

فمعناه كما قرَّرَ المفسرونَ أنَّ نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قالَ مُسْتَعْلِمًا: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي أَيْ وَقَدْ وَعَدَتْنِي بِنَجَاةِ أَهْلِي، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُخْلَفُ، فَكَيْفَ غَرِقَ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ؟ قالَ: يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَيِ الَّذِينَ وَعَدْتُ إِنْجَاءَهَمْ، لِأَنِّي إِنَّمَا وَعَدْتُكَ بِنَجَاةِ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ فَكَانَ هَذَا الْوَلَدُ مِمَّنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بِالْغَرَقِ لِكُفْرِهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَبَاهُ

(١) أخرجه مسلم ح (٢١٦٢).

نَبِيَّ الله نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

وأما لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد بعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله ﷻ، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش، ومع هذا قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء].

فالأُخُوَّة هنا محمولة على معنى المصاحبة والملازمة أو الأُخُوَّة البشرية والإنسانية العامة، وهكذا شأن سائر الأنبياء مع أقوامهم.

• **ملحوظة مهمَّة** :

يلاحظ أن إطلاق لفظ الأُخُوَّة بين الأنبياء وأقوامهم جاء في سياق أن الأنبياء كانوا من أقوامهم، وأُخُوَّة لهم، يعرفونهم ويعلمون صدقهم، فكان حَرِيًّا بهؤلاء الأقوام والحالة تلك أن يؤمنوا ويستجيبوا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران]، وأنه حينما كان إطلاق لفظ الأُخُوَّة موهِما بمشاركتهم في باطلهم لم يذكر، كما في قصة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد سماه الله أخًا لمدين، كما في سورة الأعراف﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [٨٥]، فلما نسبهم في سورة الشعراء إلى الأيكة، وهي الشجرة التي عبدوها لم يذكر لفظ الأُخُوَّة، حتى لا يُتَوهَّم مشاركةُ نبيِّ الله لهم في باطلهم، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « هَؤُلَاءِ- يَعْنِي أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ- هُمْ أَهْلُ مَدْيَنَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ شُعَيْبٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّمَا لم يقل هاهنا أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ لِأَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَيْكَةِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ، وَقِيلَ شَجَرٌ مُلْتَفٌّ كَالْغَيْضَةِ كَانُوا

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٢).

يعبدونها فلهذا لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لَمْ يَقِلْ: إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ، وَإِنَّمَا قَالَ إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ، فقطع نسب الْأُخُوَّة بَيْنَهُمْ لِلْمَعْنَى الَّذِي نُسِبُوا إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُمْ نَسَبًا »(١).

وعليه: فلا بأس على الراجح من أقوال أهل العلم – والله أعلم- باستخدام لفظ الأُخُوَّة مع غير المسلمين، إن كان ذلك في سياق الدعوة والتوجيه وتأليف القلوب للدخول في دين الله، مع التأكيد على أصل الولاء والبراء، بحيث لا يتوهَّم منها مشاركتهم في باطلهم، لا سيَّما وقد ثبتت اللفظة في القرآن للمؤمنين دون غيرهم، ويمنع مِنْ إطلاقها إذا كان ذلك في سياق إذابة الفوارق بين المسلمين وغيرهم، والتساهل في أوثق عرى الإيمان، وهو الحبُّ في الله والبغض في الله، كما يُسمَع اليوم كثيرًا في منابر مختلفة، ويمكن الاستعاضة عن لفظ الأُخُوَّة بألفاظ أخرى لها دلالات محدَّدة لا تُشْكِلُ على الناس.

* * *

• لا ينهاكم الله :

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة].

قال الشيخ **عطية سالم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ مُشْتَرِكَةٌ مَصَالِحُهُمْ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَمُرْتَبِطَةٌ بِمَجْمُوعِ دُوَلِ الْعَالَمِ مِنْ مُشْرِكِينَ وَأَهْلِ كِتَابٍ.

وَلَا يُمْكِنُ لِأُمَّةٍ الْيَوْمَ أَنْ تَعِيشَ مُنْعَزِلَةً عَنِ الْمَجْمُوعَةِ الدَّوْلِيَّةِ؛ لِتَدَاخُلِ الْمَصَالِحِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٣).

obeikandl.com

وَتَشَابُكِهَا، وَلَاسِيَّمَا فِي الْمَجَالِ الِاقْتِصَادِيِّ عَصَبِ الْحَيَاةِ الْيَوْمَ مِنْ إِنْتَاجٍ أَوْ تَصْنِيعٍ أَوْ تَسْوِيقٍ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْآيَةُ مُسَاعَدَةً عَلَى جَوَازِ التَّعَامُلِ مَعَ أُولَئِكَ الْمُسَالِمِينَ وَمُبَادَلَتِهِمْ مَصْلَحَةً بِمَصْلَحَةٍ.. ،وبشرط سَلَامَةِ الدَّاخِلِ، أَيْ: عَدَمُ الْمَيْلِ بِالْقَلْبِ، وَلَوْ قِيلَ بِشَرْطٍ آخَرَ وَهُوَ مَعَ عَدَمِ وُجُودِ تِلْكَ الْمَصْلَحَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ، أَيْ أَنَّ الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ يَتَعَاوَنُ أَوَّلًا مَعَ بَعْضِهِ، فَإِذَا أَعْوَزَهُ أَوْ بَعْضَ دُوَلِهِ حَاجَةٌ عِنْدَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَمْ يُقَاتِلُوهُمْ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَدُوًّا عَلَى قِتَالِهِمْ فَلَا مَانِعَ مِنَ التَّعَاوُنِ مَعَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ عَمَلِيًّا مُعَامَلَةُ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَخُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ لِلْيَهُودِ فِي خَيْبَرَ.

فَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ أَوَّلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ** ﴾ [الممتحنة:١]. وَمَنْصُوصٌ عَلَى عَدَمِ مُوَالَاتِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾** ﴾ [المائدة].

وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا أَخْرَجَهُمْ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَحَاصَرَهُمْ بَعْدَهَا فِي خَيْبَرَ، وَفَتَحَهَا اللهُ عَلَيْهِ وَأَصْبَحُوا فِي قَبْضَةِ يَدِهِ فَلَمْ يَكُونُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَوْقِفِ الْمُقَاتِلِينَ، وَلَا مُظَاهِرِينَ عَلَى إِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ عَامَلَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالْقِسْطِ فَعَامَلَهُمْ عَلَى أَرْضِ خَيْبَرَ وَنَخِيلِهَا وَأَبْقَاهُمْ فِيهَا عَلَى جُزْءٍ مِنَ الثَّمَرَةِ كَأُجَرَاءَ يَعْمَلُونَ لِحِسَابِهِ وَحِسَابِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَتَّخِذْهُمْ عَبِيدًا يُسَخِّرُهُمْ فِيهَا، وَبَقِيَتْ مُعَامَلَتُهُمْ بِالْقِسْطِ كَمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ **ابْنِ رَوَاحَةَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لَمَّا ذَهَبَ يَخْرُصُ عَلَيْهِمْ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ مَا عَرَضُوا مِنَ الرِّشْوَةِ؛ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ كَلِمَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: وَاللهِ لِأَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَجِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَلَنْ يَحْمِلَنِي بُغْضِي لَكُمْ، وَلَا حُبِّي لَهُ أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، فَإِمَّا أَنْ تَأْخُذُوا بِنِصْفِ مَا

قُدِّرَتْ، وَإِمَّا أَنْ تَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا قُدِّرَتْ، فَقَالُوا لَهُ: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَيْ: بِالْعَدَالَةِ وَالْقِسْطِ، وَقَدْ بَقُوا عَلَى ذَلِكَ نِهَايَةَ زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخِلَافَةَ الصِّدِّيقِ وَصَدَرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ حَتَّى أَجْلَاهُمْ عَنْهَا»(١).

* * *

تذكّر أن:

- **الأخُوَّة الحقيقيَّة هي أخُوَّة الدين والإيمان، وهي التي يثبت لها حق الولاء والنصرة والمودَّة ، وغير ذلك من الحقوق.**
- **أطلق الشارع لفظ الأخُوَّة على أخُوَّة النسب مع اختلاف الدين، لكنه أكَّد علينا أصل الولاء والبراء.**
- **جاء في القرآن إطلاق لفظ الأخُوَّة بينَ المسلم والكافر الذي له به صلة قريبة أو بعيدة في سياق امتنانه على الأقوام ببعث الرسول أخًا لهم، يعرفون صدقه وخلُقه ، فحريٌّ بهم الإيمان به واتِّباعه.**
- **يجوز على الراجح إطلاق لفظ الأخُوَّة على الكفار إذا كان ذلك في سياق دعوتهم وتأليف قلوبهم، مع صيانة جذوة الولاء والبراء في قلوب المؤمنين.**
- **يمنع من استخدام لفظ الأخُوَّة مع الكفار في سياق إذابة الفروق والتساهل في أوثق عرى الإيمان، وهو الحبُّ في اللّه والبغض في اللّه.**
- **لا يجوز إطلاق لفظ الأخُوَّة في سياق يُتوهَّم منه مشاركة المسلم للكفار في باطلهم واعتقاداتهم.**

---

(١) أضواء البيان، للأمين الشنقيطي (٨/ ٩٥-٩٦) بتصرف.

المبحث الثالث
معالم الخطاب الدعوى لغير المسلمين

ما هي معالم خطابنا الدعوى لغير المسلمين ؟

سنحاول الإجابة على ذلك باستقراء ما ورد في ذلك من الكتاب والسُّنَّة.

أولا: مرتكز الخطاب الدعوي: هو الدعوة للتوحيد :

وقد كان هذا دأب الرسل جميعًا: دعوة إلى الإيمان بالله، وإفراد العبودية له دون ما سواه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

فالرسالة الأولى للداعية في خطابه لغير المسلمين : الدعوة للإيمان بالله وإفراده بالعبادة لله وحده، وهو معنى شهادة (أنْ لا إله إلَّا الله)، وقد جاء هذا الأمر صريحًا في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعثه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن: [إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله...][(١)].

والمتأمِّل في خطاب القرآن الموجَّه لغير المسلمين مِنَ المشركين وأهل الكتاب يجد أنَّ الأمر بالتوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة هو جوهر الخطاب الموجَّه لهم بشتَّى الصيغ البلاغية والقوالب الإقناعية ، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران].

ثانيًا: يمكن أن يُدخِل الداعيةُ في خطابه :

• النهيَ عن كبائر المحرمات المنتشرة في المجتمع : كالمحرَّمات الكبرى المنتشرة

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٩) ، وقد ورد في الصحيحين بألفاظ مقاربة.

obeikandl.com

في المجتمع، وتؤثر عليه تأثيرًا بالغًا.

• والأمر بالمعروف الذي يوافق العقول السوية، ويثمر امتثاله صلاحًا للمجتمع. فقد أَمَرَ شعيبٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومَه بالعدل، والإنصاف في الكيل والوزن، مع أمره لهم بالتوحيد، ونهاهم عن الظلم والإجحاف، وهي من المحرمات المشتهرة في قومه، ومما يتَّفق عليه أصحاب العقول على إنكارها .

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأعراف].

ونهى لوطٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومَه عن الفاحشة والشُّذوذ، كما قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النمل].

لأن تلك الفاحشة اشتهرت بينهم، وطغت على تصرفاتهم، وفي انتهائهم عنها صلاح للمجتمع، وتقريب لهم من شرع الله تعالى.

ثالثًا: التأكيد على محاسن الإسلام ومقاصده: التي تلاقي قبولًا واهتمامًا لدى المخاطبين، لأهميتها في حياتهم، أو لمعاناتهم من فقدها، مثل :

• التركيز على مدى عناية الإسلام بالأسرة في المجتمعات المتفكِّكة أسريًّا.

• التأكيد على مكانة المرأة في الإسلام في مقابل المجتمعات التي جعلتها سلعة رخيصة.

• التأكيد على عدل الإسلام في أحكامه وتشريعاته للناس على اختلاف أديانهم.

• بيان عناية الإسلام بالبيئة، وبالنظام الاقتصادي، ونحو ذلك.

• وقريب من ذلك استخدام الإعجاز العلمي في الدعوة.

• وينبغي للداعية مراعاة المدخل الأعظم تأثيرًا في قلوب الناس، والأقرب إلى

اهتماماتهم وثقافتهم، وقد راعى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك المداخل في كل ما فيه مصلحة للإسلام، ولهذا قال في صلح الحديبية لما قدم عليه رجل من قبل قريش للتفاوض: [**هَذَا فُلَانٌ، وَهْوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ**](١). فاستفاد النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الصفة وهي تعظيم هذا الرجل وقومه للإبل المهداة للبيت، وذلك للتأثير عليه في التفاوض فيما يخدم مصلحة الإسلام.

ونبَّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند إرساله إلى اليمن إلى فئته المستهدفة [**أَهْلَ كِتابٍ**] لمراعاة ثقافتها في شكل خطابه، ومضمونه، وترتيب أولوياته بما يخدم الرسالة الدعوية.

وينبغي التأكيد في هذه القضية على أمور:

١- هذه الأمور وإنْ كانت مِنْ مقاصد الدين ومفاهيمه المهمة أو مِنْ آثار حضارته، إلَّا أنها تعتبر هنا مدخلًا ووسيلة لتبليغ المقصد الرئيس والرسالة الأولى للرسل عليهم السلام، وهي توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ وإفراده بالعبادة، وينبغي أنْ لا تشغلنا الوسائل عن المقاصد.

٢- تعتبر هذه القضايا مداخل ووسائل موصلة لتحبيب الناس في الإسلام وتقريبهم إليه، كما تعتبر بعد إسلامهم وسائل مثبِّتة ومعينة ومؤْنِسة في طريق الهداية.

٣- المبالغة الشديدة في بعض القضايا والمفاهيم الصحيحة قد يُحدِث اضطرابًا في فهم الإسلام لدى المتلقِّي، فينظر إليه من زاوية واحدة برؤية منقوصة تؤثر في قبوله للإسلام وفي امتثاله شرع الله بعد إسلامه.

رابعًا: التعريفُ بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرتِه وأخلاقِه:

(١) أخرجه البخاري ح (٢٧٣١).

وقد كان شخص النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وخلقه وسيرته من أعظم الأسباب المعينة على الدخول في الإسلام بذلك.

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة].

وأخبر تعالى أنْ خُلُقَ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان سببًا لإقبال الناس عليه وتعلمهم للإسلام، فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وكذلك الحال بعد وفاته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. ففي نشر سيرته وأخلاقه أثر كبير لقبول الناس لهذا الدين.

خامسًا: امتثال أسلوب القرآن:

وقد عُنِيَ القرآن عناية خاصة بخطاب الكفار ودعوتهم بمختلف الأساليب والطرق الإقناعية والأمثال المضروبة والحوارات والمقارنات.

وفيه موعظة ودعوة للناس جميعهم مسلمهم وكافرهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ٥٧ ﴾ [يونس]؛ بل إنَّ الله تعالى أمر رسوله الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنْ يُجِيرَ المشركَ المحارب للإسلام ويؤمِّنَه على نفسه حتى يُسْمِعَه القرآن ويبلِّغَه إيَّاه، لأن ذلك مِنْ أعظم أسباب هدايته وإيمانه، فقال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ ﴾ [التوبة:٦].

وقد اهتدى بعض الجنِّ بعد استماعهم للقرآن العظيم وما فيه مِنَ المواعظ والأدلة، فقال تعالى: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ ﴾ [الجن].

ولابُدَّ للداعية أنْ يقرِّب معاني تلك الآيات إلى الناس في كلامه وحديثه وخطابه الدعوي، باستلهام آيات القرآن ومقاصده وأمثلته وأساليبه وقوالبه الإقناعية. وامتثالُ الداعية واستدلالُه بالقرآن وترجمتُه لمعاني بعض الآيات مع أنَّ المخاطَب لا يؤمن به هو امتثالٌ واقتداءٌ واستدلالٌ بأعلى أساليب الإقناع والتأثير، وأرقى درجات البلاغة والفصاحة، ونظر عميق في الكون والإنسان والحياة بأسلوب يسهل فهمه، وأمثلة ومقارنات توصل المقصود بأسهل الطرق وأيسرها.

وهذا الأسلوب هو أسلوب القرآن في غير ما آية من كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء].

وكتاب الله مليء بالأدلة العقلية الدامغة التي تحرِّك القلوب، وتهزُّ المشاعر، وتُوقِظ الإنسان مِنْ غَفلته.

عن **جبير بن مطعم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِى الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ »(١).

سادسًا: التزام الدقة والحذر في مضامين الخطاب وشكله في الممارسات والأفعال المصاحبة له :

ويجب الانتباه لكل ما قد يُفهَم خطأ ويُفَسَّر ويستَغلُّ لتشويه صورة الإسلام والتنفير منه.

---

(١) أخرجه البخاري ح (٤٨٥٤).

وقد كان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شديدَ الحرص على مراعاة الصورة الذهنية لدى الناس، وعدم خَدشها بما يسبِّب تنفيرَهم عن الدِّين، أو يُستَغلُّ مِنْ قبل الأعداء استغلالًا سيّئًا.

فعندما قال رأس المنافقين **عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلولٍ**: « أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ »، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: « يَا رَسُولَ الله: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ »، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**](١).

ولذلك فيُشرع كتمان بعض العلم إن كانت هناك مصلحة من ذلك، كما قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا**](٢).

وقال **عبدُ اللّه بنُ مسعودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً** »(٣).

وقال **عليٌّ بنُ أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟**»(٤).

وقد تكون بعض تصرُّفات المسلمين السيِّئة، أو أفعال غير حكيمة لبعض الدعاة سببًا في بُعْد الناس وتنفيرهم عن الدين.

وقد قال الله تعالى في حكاية قول المؤمنين مِنْ أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾** ﴾ [يونس].

ومعنى الآية على أحد التفسيرين: لا تجعل ضعفَنا وهوانَنا فتنةً للكافرين

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ح (٤٩٠٥)، ومسلم ح (٢٥٨٤).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري ح (٢٨٥٦)، ومسلم ح (٣٠).
(٣) انظر: مقدمة صحيح مسلم (١/ ١١).
(٤) أخرجه البخاري ح (١٢٧).

obeikandl.com

فيقولوا: لو كانوا على حقٍّ لانتصروا(١).

سابعًا: الرفق والبعد عن الفظاظة في شكل الخطاب ومضمونه:

وقد كان أحد أعظم الأخلاق النبوية التي أثمرت دخول الناس في دين الله: الرفق والأناة، وذلك برحمة الله بعباده، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ](٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ](٣).

ولما أرسل الله تعالى موسى وهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون قال لهما: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه]. فإن لينكم ورفقكم به أحرى لقبوله وتذكُّره وخشيته.

ثامنًا: دفع الشُّبَه المثارة حول الإسلام، وبيانُ بطلانها بالدليل والبرهان العقلي:

وذلك أن البناء الصحيح لا يكون إلَّا على أساس ثابتة متينة، ومتى ما امتلأ عقل المتلقِّي بالشُّبهات والعوائق فسيصعب إيصال الرسالة الصحيحة إليه.

وقد ردَّ الله تعالى في كتابه شُبَهَ أهل الكتاب ومشركي العرب والدهريين، وردَّ عليها، وبيَّن بطلانَها ، مع دعوته لهم إلى الإيمان والتوحيد.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٦٩).
(٢) أخرجه مسلم ح (٢٥٩٣).
(٣) أخرجه مسلم ح (٢٥٩٤).

obeikandi.com

وقد تكون تلك الشُّبهات في أصل الدين أو في شيء مِنْ فروعه وتشريعاته، كالقضايا التي يركِّز عليها الإعلام بطريقة سلبية؛ لتشويه صورة الإسلام، ومنها قضية الجهاد أو المرأة ونحو ذلك، فيحسن دفعُها وبيانُ خطئها بدون تجاوز في القبول ، أو تنازل عن حقائق الشرع وأحكامه.

تاسعًا: الاستفادة من معرفة الديانات الأخرى لبيان تحريفها أو مناقضتها للفطرة والعقل بما لا يثير النفوس ولا يؤجج المشاعر:

وقد كان مِنْ أسباب إسلام **عدي بن حاتم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معرفةُ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدين النصارى وبيان مخالفته له. فقد قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لعديِّ بن حاتمٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [**يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ**] ثَلَاثًا، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي عَلَى دِينٍ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ**]. فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟ قَالَ: [**نَعَمْ أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ؟**]. قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: [**فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ**]، قَالَ: فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا، فَتَوَاضَعْتُ لَهَا .. (١).

ويتنبَّه في ذلك لئلَّا تتحول الرسالة مِنْ بيان بطلان دينهم بحكمة إلى سبٍّ لدينهم واتهامهم له؛ مما يسبِّب حميَّة ودفاعًا مسميتًا عن ذلك الدين مِنْ قبل أتباعه، وربما تجاوز الأمر ذلك إلى حرب على الإسلام والمسلمين، واتهام لعقائدهم ورموزهم، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [الأنعام:١٠٨].

---

(١) أخرجه أحمد ح (١٨٢٦٠) ، وابن حبان في صحيحه ح (٦٦٧٩)، والحاكم في مستدركه برقم (٨٥٨٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وفي معنى الرَّكوسيَّة: يُروَى عن ابن سيرينَ أنه قال : هو دين النصاري والصابئين. وأما المِرْباع: فَإِنَّهُ كل شَيْء يخّص بِهِ الرئيس فِي مغازيهم، يَأْخُذ ربع الْغَنِيمَة خَالِصا لَهُ. انظر : غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٨٧).